سورة الضحى كان فيها عدة أمور :

أقسمة:بـــ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾

ووضحت : أنه ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾

وبشرت : بأنه ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾

ووعدت : بأنه ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾

وامتنت :﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾

وأوصت :﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾

ثانياً: المقسم عليه :﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ :

"إن الوحي ولقاء جبريل والاتصال بالله ، كانت هي زاد الرسول صلى الله عليه وسلم في مشقة الطريق . وسقياه في هجير الجحود، وروْحه في لأواء التكذيب، وكان صلى الله عليه وسلم يحيا بها في هذه الهاجرة المحرقة التي يعانيها في النفوس النافرة الشاردة العصية العنيدة، ويعانيها في المكر والكيد والأذى المصبوب على الدعوة ؛ على الإيمان ، وعلى الهدى من طغاة المشركين .

فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد، وانحبس عنه الينبوع، واستوحش قلبه من الحبيب، وبقي للهاجرة وحده بغير ما اعتاد من صلة الحبيب الودود، وهو أمر أشد من الاحتمال من جميع الوجوه ، وخصوصاً أنه في بداية أمر الدعوة"[1].

قال تعالى : ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ :

أي :" كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة" [2] .والمراد أن " الدار الآخرة خير لك من هذه الدار. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها إطراحًا، كما هو معلوم من سيرته. ولما خُيِّرَ، عليه السلام، في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عز وجل، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية"[3].

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾:وهذا يقابل نعمته في قوله: **﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾**.

---

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٩٢٥

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٨.

أي :" أي: كما كنت يتيمًا فآواك الله؛ فلا تقهر اليتيم، أي: لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسِنْ إليه، وتلطف به، وقيل: كن لليتيم كالأب الرحيم"[1]، "و لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره. بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك"[2].

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾: وهذا يقابل نعمته في قوله :﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾:

أي: "وكما كنت ضالاً فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد. وقيل : فلا تكن جبارًا، ولا متكبرًا، ولا فَحَّاشاً، ولا فَظًّا على الضعفاء من عباد الله ، وقيل: يعني رَدَّ المسكين برحمة ولين"[3].

"وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد"[4].

-قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ وهذا يقابل نعمته في قوله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾أي: "أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة.وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن"[5].وقيل : " أي أنشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والحكم عام له ولغيره"[6]..

قال ابن عثيمين: "لكن تحدث بها إظهاراً للنعمة وشكراً للمنعم، لا افتخاراً بها على الخلق؛ لأنك إذا فعلت ذلك افتخاراً على الخلق كان هذا مذموماً. أما إذا قلت أو إذا ذكرت نعمة الله عليك تحدثاً بالنعم، وشكراً للمنعم فهذا مما أمر الله به"[7].

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ ويمكن أن يستنبط من هذه الآية جواز إخبار الرجل عن جوانب الخير في نفسه إن لم يكن فخرًا أو كبرًا والتحدث بنعمة الله تعالى التي مَنَّ بها على العبد، فلقد أكرم الله تعالى كعب بن مالك وصاحبيه بالتوبة عند تخلفهما عن غزوة تبوك . كما تجوز حين يريد

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/٤٢٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/٤٢٧.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٨.
(٥) تيسير الكريم الرحمن ٩٢٩.
(٦) الجامع لأحكام القرآن٢٠/١٠٢.
(٧) تفسير جزأ النبأ لابن عثيمين (٢٤٤).

الرجل أن يلفت النظر إلى نعم الله التي أنعم بها عليه ليستفيد منه الآخرون، فلقد قال يوسف عن نفسه أنه حفيظ عليم يذكر بذلك نعمة الله عليه بالعلم والحفظ ولكي يستغل هذه النعمة ويشرك بها في خدمة مجتمعه وأمته: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ [يوسف: ٥٥].

-**قال تعالى :** ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ "أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله عز وجل- غالباً- إلا ويذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في شهادة الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جازى نبيًا عن أمته"[1].

-قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴾ قال القرطبي " فهذا الفضل كله في أمور الدنيا، وإن كان -لفظه- خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض أمته -إن شاء الله تعالى-.. فهذا وعد من الله تعالى عامٌ لجميع المؤمنين لا يخرج أحد منه،أي : إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسراً في الآخرة لا محالة، وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة "[2]

-**قال تعالى :** ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾

"والله سبحانه أحسن كل شيء خلقه ، ولكن تخصيص الإنسان هنا وفي مواضع قرآنية أخرى بحسن التركيب ، وحسن التقويم ، وحسن التعديل . . فيه فضل عناية بهذا المخلوق .

وإن عناية الله بأمر هذا المخلوق على ما به من ضعف وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد لتشير إلى أن له شأناً عند الله، ووزناً في نظام هذا الوجود، وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق، سواء في تكوينه الجثماني البالغ الدقة والتعقيد، أم في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب .

وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنساني، فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين، كما تشهد بذلك قصة المعراج؛ حيث وقف جبريل عليه السلام عند مقام، وارتفع محمد بن عبد الله الإنسان إلى المقام الأسنى"[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٠٧/٢٠ بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/٢٠مختصراً.

(٣)في ظلال القرآن ٣٩٣٣/٦.

-**قال تعالى** : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

"أفادت الآية أن الله كون الإنسان تكوينا ذاتياً متناسباً ما خلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعتبر عند الله تعالى ولا جديراً بأن يقسم عليه إذ لا أثر له في إصلاح النفس وإصلاح الغير وإصلاح الأرض ولأنه لو كان هو المراد لذهبت المناسبة التي في القسم بالتين والزيتون وطور سنين والبلد الأمين . وإنما هو متمم لتقويم النفس قال النبي صلى الله عليه و سلم (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)[1] فإن العقل أشرف ما خص به نوع الإنسان من بين الأنواع ..

فالمرضِيُ عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظره العقلي الصحيح لأن ذلك هو الذي تصدر عنه أعمال الجسد إذ الجسم آلة خادمة للعقل"[2].

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾:

"الإنسان مهيأ حين ينتكس لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط : ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾.. حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها ، وإلهامها تسبيح ربها ، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى، بينما هو المخلوق في أحسن تقويم ، يجحد ربه، ويرتكس مع هواه، إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه"[3].

-قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾: "كيف يظن إذا أن الناس يعملون متفاوتين في أعمالهم في هذه الدنيا ثم يموتون سواء ولا جزاء بعد بالثواب ولا بالعقاب هذا ظلم وباطل ومنكر يتره الرب عنه سبحانه وتعالى فقضية البعث الآخر لا تقبل الجدل والمماحكة بحال من الأحوال"[4]."فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمون"[5].

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم..(٢٥٦٤).

(٢) التحرير والتنوير٣٠/٤٢٤.

(٣)في ظلال القرآن ٦/٣٩٣٣.

(٤) أيسر التفسير للجزائري٤/٤١٤.

(٥) تيسر الكريم الرحمن٩٢٩.

قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ "والطغيان: مجاوزة الحد في العصيان"[1].

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ "وعلة هذا الخُلق أن الاستغناء تحدث صاحبه نفسه بأنه غير محتاج إلى غيره، وأن غيره محتاج، فيرى نفسه أَعْظَم من أهل الحاجة، ولا يزال ذلك التوهم يربو في نفسه حتى يصبو خُلُقاً، حيث لا وازع يزعه من دين أو تفكير صحيح، فيطغى على الناس لشعوره بأنه لا يخاف بَأْسَهم لأن له ما يدفع به الاعتداء من لَأْمةِ سِلاحٍ وخدمٍ وأعوانٍ وعفاةٍ، ومنتفعين بماله من شركاء وعمال وأُجَراء، فهو في عِزّةٍ عند نفسه، فقد بينت هذه الآية حَقيقةً نَفْسية عظيمة من الأخلاق وعلم النفس. ونَبّهت على الحذر من تغلغلها في النفس"[2].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾: قال ابن كثير: "أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء"[3].وهذا التهديد فيه: "ما يثير الهمم الراكدة، ويسيل العيون الجامدة، ويبعث على الحياء والمراقبة"[4].فالتخويف برؤية الله تنبيه على المراقبة .

- قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ .

"والأخذ من الناصية أخذ من لا يترك له تمكن من الانفلات فهو كناية عن أخذه إلى العذاب وفيه إذلال لأنهم كانوا لا يقبضون على شعر رأس أحد إلا لضربه أو لجره"[5]فهذه الصورة التي هي الجذب أو الضرب بشدة والسحب من مقدمة رأس الإنسان فيها من الذلة والمهانة لأولئك الذين يصدون عن سبيل الله بل ويعادون أهل العلم والخير والدعوة إلى الله فكان مصيرهم الذل والمهانة .

قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾

يعني: "يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت ولا تباله؛ فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس"[6].

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾: "والمقصود من تشريف الليلة التي كان ابتداء إنزال القرآن فيها تشريف آخر للقرآن بتشريف زمان ظهوره تنبيها على أنه تعالى اختار لابتداء إنزاله وقتا شريفاً

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/٢٠.
(٢) التحرير والتنوير٤٤٥/٣٠.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٣٨/٨.
(٤) تفسير الثعالبي ٢٧٠/٤.
(٥) التحرير والتنوير٤٥٠/٣٠
(٦) تفسير القرآن العظيم ٤٣٩/٨.

مباركاً، لأن عِظَم قَدْرِ الفِعْل يقتضي أن يُخْتار لإيقاعه أفضل الأوقات والأمكنة، فاختيار أفضل الأوقات لابتداء إنزاله ينبئ عن علو قدره عند الله تعالى"[1].

وعلى هذا فعلينا أن نقدر القرآن ونحترمه، وأن لا نقرأه ولا نذهب به إلا في الأماكن المحترمة وأن نستعد للقرآن، وأن نملأ به بيوت الله المساجد بالتلاوة والتدارس فإنها أفضل وأطهر- بل وأحب مكان عند الله يقرأ فيه القرآن قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النور: ٣٦]،

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾

ثم بين الله تعالى سنة الذين كفروا أنه" لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزابًا ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم، لم يزدهم الهدى إلا ضلالا ولا البصيرة إلا عمى"[2]." فيقرر الله تعالى أن أهل الكتاب خاصة لم يتفرقوا ويختلفوا في دينهم عن جهل أو عن غموض في الدين أو تعقيد، إنما تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ومن بعد ما جاءتهم البينة من دينهم على أيدي رسلهم"[3] .

-**قال تعالى:** ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾

"وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله : ﴿ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ لأن في الصلاة القيام بحق الله تعالى، وفي الزكاة قيام بحق المخلوقين، وكثيراً ما يربط الله بين هذين الواجبين في القرآن .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ﴾

"حكم كذلك قاطع لا جدال فيه ولا محال . ولكن شرطه كذلك واضح لا غموض فيه ولا احتيال

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٤٥٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٩٣٢) بتصرف .

(٣) في ظلال القرآن٦/٣٩٥٠.

. إنه الإيمان . لا مجرد مولد في أرض تَدَّعي الإسلام، أو في بيت يقول: إنه من المسلمين . ولا بمجرد كلمات يتشدق بها الإنسان! إنه الإيمان الذي ينشئ آثاره في واقع الحياة : ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . وليس هو الكلام الذي لا يتعدى الشفاه! والصالحات هي كل ما أمر الله بفعله من عبادة وخلق وعمل وتعامل، وفي أولها إقامة شريعة الله في الأرض ، والحكم بين الناس بما شرع الله، فمن كانوا كذلك فهم خير البرية"[1] "

- قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ إنه ميزان لم يوجد له نظير أو شبيه بعد في الأرض، إلا في القلب المؤمن..القلب الذي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر.. وفي الأرض اليوم قلوبٌ لا تتحرك للجبل من الذنوب والمعاصي والجرائر ، ولا تتأثر وهي تسحق رواسي من الخير دونها رواسي الجبال، إنها قلوب مسحوقة تحت أثقالها تلك في يوم الحساب!!

قوله: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾أي:" الخيل إذا جرت في سبيله فعَدَت وضجت، والضبح: هو الصوت الذي يسمع الفرس حين تعدو"[2].

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[3]. وقال عليه الصلاة والسلام: (البركة في نواصي الخيل)[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من احتبس فرساً في سبيل الله إيمانً بالله وتصديقاً بوعده فإن شِبعَه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة)[5]. وفي رواية: " قالوا: بم ذاك يا رسول الله ؟ قال : (الأجر والمغنم)[6]

-**قال تعالى:** ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾. فهذه الصورة تنسي حب الخير الفاني، وتأسس لحب الخير الباقي في الدارين، وتوقظ من غفلة البطر.

---

(١) في ظلال القرآن(٦/٣٩٥٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم٨/٤٦٥.

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٢٨٥٠)، ومسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصيها (١٨٧٢).

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة(٢٨٥١).

(٥) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب من احتبس فرساً في سبيل الله(٢٨٥١).

(٦) مسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصيها (١٨٧٣).

-يقول الشيخ بن عثيمين: " ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ أي: ما في القلوب من النيات، وأعمال القلب كالتوكل، والرغبة، والرهبة، والخوف، والرجاء وما أشبه ذلك. وهنا جعل الله عز وجل **العمدة ما في الصدور** كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ ﴾ [سورة الطارق: ٩-١٠]. لأنه في الدنيا يعامل الناس معاملة الظاهر، حتى المنافق يعامل كما يعامل المسلم حقًّا، لكن في الآخرة العمل على ما في القلب، ولهذا يجب علينا أن نعتني بقلوبنا قبل كل شيء قبل الأعمال؛ لأن القلب هو الذي عليه المدار، وهو الذي سيكون الجزاء عليه يوم القيامة"[1].

-قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾، من فضل الله على العباد أن كتب لهم أجر العمل الصالح إذا همت به و لم تعمله فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة)[2].

-قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾

أعظم شيء يثقل ميزان العبد يوم القيامة توحيد الله تعالى، وحديث البطاقة أعظم دليل في ذلك وحديث (فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله . يبتغى بذلك وجه الله) [3].

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ كل طاعة لله تعالى هي رفعة لميزانه يوم القيامة ،وهناك أعمال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تثقل الميزان ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم: (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق)[4].(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده) [5].(بخ بخ وأشار

(١) تفسير جزأ النبأ لابن عثيمين ص٢٩٤.
(٢)البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (٢٠٦).
(٣)البخاري (٤٢٥) ومسلم (٢٦٣).
(٤)وصححه الألباني في الصحيحة ٨٧٦.
(٥)البخاري (٦٠٤٣)، ومسلم (٢٦٩٤)

وأشار بيده بخمس ما أثقلهن في الميزان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه)[1].(والحمد لله تملأ الميزان)[2].(من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شِبعَه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة)[3].

-قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾

والعيشة الراضية هي: الجنة[4] ووصف العيشة بأنها راضية "وصف يدعها مجملة بلا تفصيل توقع في الحس ظلال الرضى وهو أروح النعيم"[5].فالعيشة الراضية جمعت كل النعم التي في الجنة، وأعظمها رضى الله الرحمن الرحيم

-قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس: ٢٦]. فقوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ "هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُور والحُور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل منذلك وأعلاه النظرُ إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته"[6].

- قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ وهذا "تمثيل لحال من خفت موازينه يومئذ بحال الهالك في الدنيا، لأن الناس يكنون عن حال المرء بحال أمه في الخير والشر- لشدة محبتها ابنها- فهي أشد سرورا بسروره، وأشد حزنا بما يحزنه"[7].

- **قوله تعالى :** ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾: قال ابن سعدي : " و لم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد،

(١) صحيح ابن حبان ١١٤/٢(٨٣٣) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.
(٢)مسلم (٢٢٣).
(٣)البخاري (٢٨٥١).
(٤) جامع البيان٥٩٥/٣٠.
(٥) في ظلال القرآن٣٩٦١/٦.
(٦) تفسير القرآن العظيم ٢٦٢/٤.
(٧) التحرير والتنوير ٥١٤/٣٠ بتصرف يسير .

والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، ولم يقصد به وجه الله تعالى" [1].

-**قوله تعالى** : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾"ودلت الآية على أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الآخرة ، وأن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين. لي دل ذلك على البعث والجزاء على الأعمال في دار باقية غير فانية"[2]

-**قوله تعالى**: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

النعيم: "الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٠] "[3]. عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟)[4]. وفي زيادة لمسلم : (وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس)[5].

-قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾:

قال الماوردي: "وهذا السؤال يعم الكافر والمؤمن إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة؛ وسؤال الكافر تقريع أن قابل نعم الدنيا بالكفر والمعصية، ويحتمل أن يكون ذلك تذكيراً بما أوتوه، ليكون جزاء على ما قدموه"[6].

-وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال: النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٣٦] [7].وعن ابن

(١) تيسير الكريم الرحمن٩٣٣.
(٢) تيسير الكريم الرحمن(٩٣٣).
(٣) تيسير الكريم الرحمن٩٣٤.
(٤) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق (٢٩٥٨) .
(٥) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق (٢٩٥٩).
(٦) النكت والعيون٦/٣٣٢.
(٧) جامع البيان ٣٠/٦٠٢ ، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد (١٥٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وابن المنذر ٦/٣٨٨.

مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال: "الأمن والصحة"[1].

-قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: " اعلم رحمك الله، أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل : الأولى: العلم، وهو: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.الثانية: العمل به.الثالثة: الدعوة إليه.الرابعة: الصبر على الأذى فيه، والدليل قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ "[2].

المقسم عليه :﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾

قال شيخ الإسلام: "إن الله أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ومع غيره موصياً بالحق موصيا بالصبر"[3].قال القرطبي: " إن الانسان إذا عمر في الدنيا وهرم، لفي نقص وضعف وتراجع، إلا المؤمنين، فإنهم تكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم"[4].

قال تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾

وبكلمة ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ ﴾ تقرر"أن على أهل الإسلام أن يتعاضدوا ويتكاتفوا ويكونوا جماعة واحدة ، بل أمة واحدة متماسكة مترابطة، فتواصوا تفيد لغةً التفاعل والاشتراك في الفعل بين الطرفين، ثم إن هذه الصيغة تتحدث عنهم بصيغة الجمع بل السورة كلها ﴿ءَامَنُوا۟ ﴾ ﴿وَعَمِلُوا۟ ﴾ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ ﴾ وهكذا معظم الخطاب في القرآن الذي وجه إلى هذه الأمة وجه بصيغة الجماعة؟"[5].

قال تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ يقول القارئ: "فمن عجائب هذه السورة أنه بكلمة ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ ﴾ قررت أن أهل هذه الملة ملة الإسلام يجب أن يحملوا الرسالة إلى الآخرين فبعد أن عرفوا الحق عليهم أن يبلغوه غيرهم دعوةً وتعليماً وإرشاداً" [6]. القيادة في الدنيا والدين لا تنال إلا بالصبر واليقين بالله:قال

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٤٦٠(١٩٤٦١)
(٢) حاشية الثلاثة أصول (٧).
(٣) الاستقامة ٢/٢٦٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن٢٠/١٨٠.
(٥) تفسير سورة العصر – عبدالعزيز قارئ ٦١.
(٦) تفسير سورة العصر – عبدالعزيز قارئ (٦٠).

تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة السجدة ٢٤].

-قال تعالى:﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة الأحقاف ٣٥]. وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة النحل: ١٢٧]فهذا "توجيه يقال لنبينا محمد ﷺ، وهو الذي احتمل ما احتمل، وعانى من قومه ما عانى. وهو الذي نشأ يتيماً، ضعف عنه الولي والحامي، ومن كل أسباب الأرض واحداً بعد واحد، كما هو مجرد من كل سند أو ظهير. وهو الذي لقي من أقاربه -من المشركين- أشد مما لاقى من الأبعدين. وهو الذي خرج مرات ومرات يستنصر القبائل والأفراد فَرُدَّ في كل مرة بلا نصرة"(١).

-قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران ٢٠٠]."أُمِروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يَدَعوه لسرّاء ولا لضرّاءَ ولا لشِدَّة ولا لرِخَاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم"(٢).

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ .

﴿ وَيْلٌ ﴾ دعاء عليهم بالخزي والعذاب والهلكة. وقيل: وادٍ في جهنم(٣).وكلمة ﴿ لِّكُلِّ ﴾ تُشْعِر بأن المهددين بهذا الوعيد جماعة وهم الذين اتخذوا همز المسلمين ولمزهم ديدناً (٤)، وفيه إشارة إلى أن كل من ارتكب هذا الجرم فهو متوعد كائناً من كان، وأن من استمرأ هذا النوع من قبائح الأفعال والسلوك استساغه وأكثر منه حتى يصير عادة له، فلا يستهان بقليله.

-قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ ."ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه!! حتى يُرى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة - وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يَزِلُّ بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق

(١) في ظلال القرآن ٣٢٧٦/٦. بتصرف يسير .
(٢) تفسير القرآن العظيم(١٩٥/٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٨١/٢٠.
(٤) التحرير والتنوير٥٣٦/٣٠.

والمغرب، وكم تَرَى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يَفرِي في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالى بما يقول"أ.هـ[1].

-قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴾ أي: جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده كقوله: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج ١٨] .وقيل ألهاه ماله بالنهار، فإذا كان الليل، نام كأنه جيفة[2].ولعل هذا هو السر الذي جعله يتحدث بالناس ويحقرهم.

-قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴾وتعكس هذه الآية من الصور الواقعية في حياة الدعوة في عهدها الأول . وهي في الوقت ذاته نموذج يتكرر في كل بيئة، إنها صورة اللئيم الصغير النفس ، الذي يُؤْتَى المال فتسيطر نفسه به، حتى ما يطيق نفسه! ويشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة. القيمة التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأخلاق، وأنه وقد ملك المال فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب!كما يظن ويعتقد أن هذا المال إله قادر على كل شيء؛ لا يعجز عن فعل شيء! حتى دفع الموت وتخليد الحياة. ودفع قضاء الله وحسابه وجزائه- إن كان هناك في نظره حساب وجزاء- والعياذ بالله من حاله[3].

- وقوله: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ فحين يملك الإنسان المال يشعر أنه يملك كل شيء فهو يشتري ما يريد ، ويسافر أين ما يريد ويفعل ما يريد ،بل ويسعى الناس عموماً لرضاه ، ولذا فإنه يصبح مغروراً متكبراً ومن هنا يصبح همه الأول هو المال فهو يسعى لجمعه وينشغل في عده وحسابه حتى يخيّل إليه أنه سيكون خالداً في هذه الحياة الدنيا وينسى الآخرة[4].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ ﴾ أي: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء[5]، أو تأكل النار جميع ما في أجسادهم، حتى إذا بلغت إلى الفؤاد، خلقوا خلقاً جديداً، فرجعت تأكلهم[6].

وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، أي إنه في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ ﴾ [سورة طه ٧٤]

(١) الداء والدواء ص٢٤٤ ،والجواب الكافي لابن القيم ص١١١.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم٨/٤٨١.
(٣) في ظلال القرآن٦/٣٩٧٢.
(٤) تفسير قصار السور للهميلي (٢٤).
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم٨/٤٨١ .
(٦) الدر المنثور ٦/٣٩٣، الجامع لأحكام القرآن٢٠/١٨٥.

فهم إذاً أحياء في معنى الأموات. أو ما تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب، وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه[1].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾

فيه إشارة إلى " إبطال وعدم نوال المقصود، لأن ضلال الطريق يلزم عدم وصول السائر، والمعنى: أنه أبطله إبطالاً شديداً، إذ لم ينتفعوا بقوَّتهم مع ضعف أهل مكة وقلة عددهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر٣٧] أي: ضياع وتلف، وقد شمل تضليل كيدهم جميع ما حل بهم من أسباب الخيبة وسوء المنقلب[2]، فيعلم أن كل صاحب كيد لهذا الدين أو لأولياء الله فإن الله تعالى جاعل كيده في نحره.

-**قال تعالى:** ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾فإن جزاء المنعم أن يشكر ولا يكفر وأن يعبد ولا يشرك معه أحد، وأن يطاع ولا يعصى، هذه هي الحقيقة التي يذكرها الله لقريش وكل من يأتي بعدهم.إن ما نعيشه من نعمة الصحة والأموال والأولاد والأمن وغيرها .... كلها من الله وحده جعل لها أسباباً على أيدي بعض البشر فالمعطي الحقيقي هو الله، ومن المعروف أن مَن أعطى يجب أن يشكر وكلما زاد العطاء وجب أن يزداد الشكر، فكيف إذا كانت كل النعم من المعطي سبحانه ألا يستحق أن يشكر[3].

- **قال تعالى:** ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ ومن هو الذي يكذب بالدين؟

وإذا الجواب: ﴿ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ والمعنى أشار إليه قوله تعالى:﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝١٨ ﴾[الفجر ١٧ - ١٨].

- **قال تعالى:**﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ "والحمد لله الذي قال: ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ و لم يقل: في صلاتهم ساهون"[4].فهؤلاء " لاهون يتغافلون عنها، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحيانا، وتضييع وقتها أخرى، عُنِيَ بذلك ترك وقتها، وعُنِيَ به تركها داخل في معنى أنه في السهو عنها"[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٢٠/١٨٥.
(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٥٤٩.
(٣) تفسير السور القصار للهميلي ٢٨ بتصرف واختصار.
(٤) ذكره ابن كثير في التفسير عن عطاء٨/٤٩٣.
(٥) الطبري ٢٤/٦٦٣ بتصرف .

- قال تعالى عن لقمان ووصيته لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. **وأمر** سبحانه بإقامة الصلاة فقال : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [سورة العنكبوت ٤٥]. **وإقامتها:** تكون في وقتها، في جماعة المسجد، والمشي إليها بأدب، وتسوية الصفوف، والخشوع. "إقامتها: بحدودها وفروضها وأوقاتها"(١). فإنها سبب في تقويم حياة الناس وسلوكهم ومعاشهم، وتقويم ما يقعون فيه من انحراف.

- **قال تعالى :** ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ "يمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته، يقال للماء الذي يترل من السحاب ماعون"(٢) "فالله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاونونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق؛ لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض"(٣).

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ ثم قال : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ أي: "كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدم صفته -فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة، ونَحْرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. وهذا مثل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾ [سورة الأنعام ١٦٢- ١٦٣] ... وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ الآية [الأنعام:١٢١]" (٤).

- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ ثم قال : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ "خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات،ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته" (٥).

- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٣٨ .
(٢) جامع البيان ٢٤/٦٦٥-٦٦٦.
(٣) الطبري ٢٤/٦٧٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/٥٠٣ باختصار .
(٥) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٦.

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾أي:" مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر.وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ"(١).

- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ "ولقد صدق فيهم وعيد الله . فقد انقطع ذكرهم. بينما امتد ذكر محمد ﷺ. ونحن نشهد اليوم مصداق هذا القول الكريم ، في صورة باهرة واسعة المدى! إن الإيمان والحق والخير لا يمكن أن يكون أبتراً . وإنما الكفر والباطل والشر هو الأبتر مهما ترعرع وزها وتجبر في وقت من الأوقات . ولكن البَشَر ينخدعون ويغترون .. فأين الذين كانوا يقولون عن محمد ﷺ قولتهم اللئيمة، ويحسبون حينئذ أنهم قد قضوا على محمد وقطعوا عليه الطريق؛ أين هم؟! وأين ذكراهم؟! وأين آثارهم إلى جوار الكوثر؟!! وصدق الله العظيم. وكذب الكائدون الماكرون"(٢).

- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾

وهذه بشرى لأتباع الرسول ﷺ السائرين على طريقه وهديه، فنقول لهم أبشروا فإن الله سيتولى الدفاع عنكم وسيبقي ذكركم الحسن وفي المقابل نقول لأعداء الرسول ﷺ عودوا إلى الله قبل أن يبقى الذكر القبيح لكم والعذاب المهين في الآخرة.عندها نقول للجميع: هلا حرصتم على بقاء ذكركم بعد موتكم.

قال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾"إنه نصر الله يجيء به الله : في الوقت الذي يقدره . في الصورة التي يريدها . للغاية التي يرسمها . وليس للنبي ﷺ ولا لأصحابه من أمره شيء ، وليس لهم في هذا النصر يدٌ. وليس لأشخاصهم فيه كسب. وليس لذواتهم منه نصيب. وليس لنفوسهم منه حظ! إنما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم. وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم، وأن يقيمهم عليه حراساً، ويجعلهم عليه أمناء هذا هو كل حظهم من النصر ومن الفتح ومن دخول الناس في دين الله أفواجاً"(٣)

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾

"وفى اختيار ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ على غفاراً مع أنه الذي يستدعيه قوله ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ ﴾ تنبيه على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود "(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٩٣٦.
(٢) الظلال ٣٩٨٩/٦ باختصار وتصرف .
(٣) في ظلال القرآن٣٩٩٦/٦.
(٤) تفسير حقي٤٦٠/١٧.

فالله تعالى يحب التوابين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾[سورة البقرة٢٢٢]، وهو سبحانه يقبل توبتهم قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الشورى ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ [سورة التوبة ١٠٤]،وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة طه٨٢].

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلۡعُقَدِ ﴾"وإنما جعلت الاستعاذة من النفاثات لا من النفث فلم يقل: إذا نفثن في العقد للإشارة أن الساحر يحرص على أن لا يترك شيئاً مما يحقق له ما يعلمه لأجله إلا احتال على إيصاله إليه فربما أغرى به من يغتاله أو من يتجسس على أحواله ليرى لمن يسألونه السحر سحره لا يختلف ولا يخطئ"[1].

(١)التحرير والتنوير٣٠/٥٢٨.